وطن من لا وطن له

لطالما كانت القلوب تهفو إلى الأوطان بفطرتها التي فطر الله الناس عليها فالجميع يعشق وطنه و إن اختلفت دلالة الأوطان بين فرد وآخر، فمنهم من يرى أن وطنه زوجه، ومنهم من يجد في محيطه وطنه، ومن الناس من يندفع إلى وطنه بدافع القوميّة أو يفهم أن حدوده تلك المساحات التي نجحت الإمبريالية والاستعمار في تحجيمه بغية الاستيلاء على العقول قبل القلوب والأبدان، ثم نجحوا في الوصول إلى غاياتهم الدنيئة بعد أن تمّ ترويض الناس على الفهم الخاطئ للوطن فجعلوه ضيّقًا، سهل التقسيم، بعيدًا عن المنطق الإسلامي الذي أسس له النبيُّ (صلّى الله عليه وآله وسلم) وقاتل من أجله المسلمون على اختلاف أجناسهم وألوانهم وقوميّاتهم .

إنّ الأصل في الوطن لا يُحدّد بحدود المساحة أو الجفرافية التي روَّج لها الصغار من أذيال العمالة والخونة الذين أسرفوا في الاستخفاف بمشاعر أبناء وطنهم، وحاولوا على مرِّ التاريخ أن يكونوا شوكة في جسد الوطن النابض بالحياة حينما يجتمع أبناؤه المخلصون تحت شعار الإسلام المحمدي الأصيل، والذي ينبغي أن يفهمه الجميع ومحبو الوطن قبل غيرهم . إن شعار الوطن أصبح شعارًا سلسًا بين الأوساط المختلفة بعد أن اقتنعت القوى الكبرى التي تحاول السيطرة على المجتمع الدولي بأن تقسيم الوطن الأم إلى أوطان متعدّدة وسيلة ناجحة في تضعيف الأمم، وكسر شوكتها، ومن ثمّ سلخها من المفاهيم الحقّة التي كانت يومًا من الأيام سبب تميُّزها وقوّتها وانتصارها.

إن مفهوم الوطن بحاجة إلى مراجعة وتأمّل، فالمسلمون حينما كانوا تحت راية الإسلام المحمديّ الأصيل، وراية الأئمة المعصومين (عليهم السلام) كانوا ينظرون إلى الوطن غير ما نراه اليوم؛ إذ اجتمعوا على معيار غير معيارنا، ولم يحدّدوا إسلامهم بجنس دون آخر؛ ليكون وطنهم صغيرًا؛ بل تكاملوا فيما بينهم وتقاسموا حبّ الوطن الذي كان من الإيمان، وكانوا ينظرون إلى البلاد الإسلاميّة على أنها حدود الإسلام و ينبغي على جميع المسلمين الدفاع عنها وحفظ كرامتها وتقديسها.

إننا اليوم بعد هذا التشتيت في الرؤية واستفحال مرض الغباء بين مُدَّعي الوطنيّة زيفًا وزورًا لن نجد مخرجًا من هذا الابتلاء إلّا بالرجوع إلى المشتركات التي كانت بين المؤمنين وأبرزها مساحة الوطن الذي ينبغي أن ندافع عنه ونحميَه من سفهاء المسلمين قبل الأعداء والخونة، وبعد البحث والدراسة يمكن لكل فرد أن يعيَ بأنّ قوّة الإسلام الحقيقي في هذه الثلّة المؤمنة التي أيقنت ضرورة البحث عن الوطن خارج الحدود التي قسَّمها الأعداء وروَّج لها الصغار. فالحشد الشعبي الذي تأسّس عند سماع نداء الوطن يمكن أن يكون مقياسًا لمن يرغب في معرفة حدود الوطن؛ لذلك حينما تجد أن أفراد الحشد يتسابقون بحثًا عن الانتصار في الساحات الإسلامية المختلفة، إنما كان ذلك عن قناعة ورؤية إسلاميّة يشاركهم في ذلك إخوتهم من مختلف جبهات المقاومة العراقيّة والإيرانيّة واليمنيّة والسوريّة واللبنانيّة وغيرهم من عناصر جبهة المقاومة عبروا الحدود المصطنعة، ولبُّوا النداء حتى اختلطت دماؤهم المختلفة في الساحات الإسلاميّة المتعدّدة؛ ليبقى صوتهم الثائر عبر أثير الزمن مدوِّيًا بأن الحشد وطنٌ لمن لا وطن له.